أولاً: التقليد القديم الخاص بكتابة إنجيل القديس متى

١ – الأصالة الرسولية لإنجيل القديس متى واللغة التي كُتب بها

لقد بدأ القديس متى بكتابة إنجيله ليس بشكله الحاضر باللغة اليونانية ولكن باللغة التي كان يسمعها من المسيح، أي باللغة الأرامية والعبرانية، وهذه الحقيقة تقدِّم لها كل الشواهد بالتأكيد. وأول إشارة وصلتنا هي عن المؤرِّخ يوسابيوس نقلاً من مخطوطة تحكي أن بابياس أسقف هيراكليا بآسيا الصغرى يقول: [متَّى كاتب (جمع معاً) كل الأحاديث باللغة العبرية Ἑβραΐδι διαλέκτῳ τὰ λογία وعنه **أخذ كل واحد** وشرح بقدر ما استطاع.](١١) συνεγράψατο

وهذه المعلومة ينقلها بابياس عن الرسل أنفسهم. ويقص القديس إيرينيئوس قائلاً: [إن متى أيضاً كتب إنجيلاً بين العبرانيين بلغتهم الخاصة.](١٢)

كما أن هناك شهادة أخرى ذات وزن عالٍ، وهي شهادة المؤرِّخ يوسابيوس عن بنتينوس الإسكندري يقول فيها:

[يُقال عن بنتينوس إنه ذهب إلى الهند (سنة ١٩٥م) فوجد هناك إنجيل ق. متى بين مسيحيي تلك الديار، الذين كان قد خدمهم برثلماوس أحد الرسل وترك بينهم إنجيل القديس متى باللغة العبرانية الذي كان معهم حتى ذلك الوقت.](١٣)

ويؤيِّد هذا الخبر القديس جيروم(١٤)، علماً بأن بنتينوس كان علاَّمة ويُتقِن العبرية ويستطيع أن يُميِّز الإنجيل الذي رآه. ومعروف أن كل الكرازة في بلاد العالم كانت تتركَّز في البداية بين اليهود، وكان من الأمور الهامة جداً أن يكون بين أيديهم إنجيل بلغتهم. من هنا جاءت أهمية إنجيل ق. متى باللغة العبرية.

(11) Eusebius, *H.E.* III, 39, cited by in A.H.W. Meyer, *op. cit.,* p. 4.

(12) Irenaeus, *Adv. Haer.,* III, I, 1.

(13) Eusebius, *H.E.* V, 10.

(14) Jerome, *De vir. illust., 36.*

وإليك أيضاً شهادة من أوريجانوس كما سجَّلها يوسابيوس: [الإنجيل الذي بُدئ بكتابته بواسطة القديس متى، الذي كان سابقاً عشَّاراً وبعد ذلك رسولاً ليسوع المسيح، كتبه بالعبرية وسلَّمه للمؤمنين اليهود](١٥). ثم يكمِّل أوريجانوس قائلاً: إن هذا هو التقليد الذي استلمه ὡς ἐν παραδόσει μαθών، وأوريجانوس لا يُستهان بعلمه وتقاريره فكلها يأخذها جميع العلماء أخذ ثقة واحترام. ويقرِّر يوسابيوس: [لأن القديس متى إذ كان قد كرز سابقاً لليهود بالعبرية، فحينما دُعي للخدمة إلى بلاد أخرى سلَّمهم الإنجيل بلغتهم، لكي يسد إنجيله عن وجوده بينهم.](١٦)

وينقل لنا العالِم ماير عن يوسابيوس أيضاً: [لقد قُرئ (الإنجيل) في مساء السبت بواسطة مترجم، لأن متى كتب إنجيله باللغة العبرية.](١٧)

ويشهد القديس كيرلس الأُورشليمي في عظاته التعليمية قائلاً: [إن القديس متى الذي كتب إنجيله بالعبرية هو الذي قال هذا.](١٨)

ويشهد القديس إبيفانيوس قائلاً: [إن متى هو الوحيد بين كُتَّاب العهد الجديد الذي سجَّل الإنجيل وكرز به بين العبرانيين وبالحروف العبرية.](١٩)

كذلك يشهد ق. إبيفانيوس عن قصة رجل يهودي متنصِّر كيف اكتشف إنجيل القديس متى بالعبرية داخل خزانة مغلقة(٢٠).

كما يشهد جيروم في مقدِّمة شرحه لإنجيل ق. متى: [إن متى في اليهودية كتب إنجيله باللغة العبرية أساساً من أجل منفعة اليهود الذين يؤمنون بالمسيح](٢١). كما يشهد في كتابه: "مشاهير الرجال" إنه وجد نسخة من إنجيل ق. متى بالعبرية في بيريه Beroea بسوريا وقام بنسخه حرفياً(٢٢). ويكرر هذا الخبر عدة مرَّات في كتاباته الأخرى(٢٣). كذلك لنا شهادة غريغوريوس

(15) Eusebius, *H.E.* VI, 25.

(16) Ibid, III, 24.

(17) Eusebius, *Ad Marin, Quaest,* II, cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.,* p. 5-6.

(18) Cyril of Jerusalem, *Catechet.,* 14.

(19) Epiphanius, *Haer,* XXX, 3.

(20) Ibid. L 1,5; XXX, 6.

(21) Jerome, *Praef. in Matt.*

(22) Ibid., *De Vir. illustr.* 3.

(23) Ibid., *Ep. ad Damas*. IV; *ad Hedib*. IV; *in jes*. III; *in Hos*. III.

النزينزي وذهبي الفم وأوغسطينوس وبقية الآباء، وشهادات آباء الكنيسة السريانية التي قام بجمعها العالِم السمعاني(٢٤).

كل هذه الشهادات مضافاً إليها التقليد الراسخ المسلَّم للآباء إنما توفِّر يقيناً ضد كل محاولات النقد الجزافي في الكتب الحديثة. فالمتيقن في الكنيسة منذ البدء أن ق. متى كتب إنجيله أولاً بالعبرية.

ولكن الأسباب التي حاقت بالنسخ الأُولى لهذا الإنجيل المكتوب باللغة العبرية فأفقدته رصانته وقانونيته ثم وجوده، هي حيازة هراطقة كثيرين لإنجيل ق. متى بالعبرية المحرَّفة(٢٥) مما جعل الكنيسة تبتعد عنه، هذا بجوار أن استخدامه بين اليهود توقَّف فتوقَّفت نساخته حتى ضاع الموجود منه.

وبالمقابل فإن وجود النسخة اليونانية من قديم الزمان، واعتماد الكنيسة عليها، جعل **في الظاهر** أن إنجيل ق. متى باللغة اليونانية هو الأصلي، ولكن الشواهد التي يقدِّمها العالِم الألماني ماير بأسماء العلماء الذين **يشهدون بوجود النسخة العبرية**، ثم كيف انتقل الثقل إلى الإنجيل المترجم للغة اليونانية، ربما تملأ صفحة بأكملها. كذلك محاولة كثير من العلماء لجعل إنجيل ق. متى بالعبرية ينتسب لإنجيل العبرانيين المنحول المكتوب بالعبرية أصلاً هو افتراء محض، ويشهد بذلك القديس جيروم الذي يثبت أنه يعرف كلا الإنجيلين والفارق الكبير بينهما. على أن إنجيل العبرانيين الذي كان في يد الهراطقة محسوب أنه إنجيل مزيَّف منذ زمان طويل جداً.

والترجمة التي حدثت لإنجيل ق. متى من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية جاء فيها (الشواهد من السبعينية) ما يوحي أنها غير مترجمة من العبرية، بسبب أن معظم الاقتباسات التي من العهد القديم مأخوذة من النسخة السبعينية وهي باليونانية. ولكن يرد على ذلك العالِم ماير بقوله: إن الذي يترجم إلى اللغة اليونانية لا يأخذ الشواهد من الأصل العبري، بل من الأسهل له جداً أن يعتمد على السبعينية اليونانية. ولكن يذكر العالِم ماير أن هناك أيضاً عدة استشهادات من العهد القديم في الإنجيل اليوناني للقديس متى مأخوذة من التوراة العبرية.

ومن الثابت علمياً وتقليدياً أن النسخة اليونانية لإنجيل القديس متى التي بين أيدينا اليوم هي

(24) Assemani, *Bible. Orient. III,* p. 8.

(٢٥) وقد تُرجم هذا الإنجيل أي إنجيل متى بعد أن حذف منه الهراطقة ما يخص لاهوت المسيح فسُمِّي بالإنجيل المنحول وسُمِّي أتباعه "بالنصارى" في بلاد العرب.

نسخة مترجمة من الأصل العبري، ويؤكِّد هذا جميع الشواهد القديمة التي عثرنا عليها في شهادات الآباء القدامى. على أن النسخة اليونانية هي ترجمة طبق الأصل من العبري بحسب دراسات العلماء، والذي يثبت ذلك باليقين أن الكنيسة بدأت تستخدم النسخة اليونانية بنفس زمن قدم النسخة العبرية، فلو كان هناك أي اختلاف لكانت رفضته الكنيسة. وتهمّنا جداً **شهادة القديس جيروم في ذلك لأنه كان يمتلك نسخة بالعبرية نسخها بيده من النسخة التي وجدها في سوريا**، وكان يمتلك في نفس الوقت النسخة اليونانية، ولم يُشِر إطلاقاً إلى أي اختلاف بينهما. وقد أشار ق. جيروم في شرحه لإنجيل ق. متى إلى أن النسخة اليونانية هي ترجمة حرفية من النسخة العبرية.

وقد قدَّم يوسابيوس شهادته في ذلك مؤكِّداً صحة شهادة ق. جيروم. لذلك يشجب العالِم الألماني ماير كل محاولة لجعل الترجمة اليونانية لإنجيل ق. متى بالعبرية ترجمة غير ملتزمة أو بحرِّية أو ذات إضافات، ويستشهد على ذلك بعدة شخصيات علمية ألمانية.

ولكن الذي نقبله علمياً هو أن ق. متى لم يؤلِّف إنجيلاً بالمعنى التحريري، ولكنه بحسب تقرير بابياس المنقول إلينا من خلال يوسابيوس (*H.E.* III, 39): [متى كتب (أو جمع معاً) كل الأحاديث τὰ λογία συνεγράψατο] التي تعني: "جمع أو وضع الكلام معاً في ترتيب".

ويُلاحَظ هنا أن القديس متى لم يقم بشرح الأقوال المنقولة، ولكنه قام فقط بتجميعها على هيئة مجموعة منسَّقة Collection.

وهكذا أمكن للعالِم ماير أن ينتهي في بحثه بأن إنجيل ق. متى بحسب بابياس هو عملية جمع وتنسيق لأقوال المسيح، ذلك باللسان العبري، ولكن لم يصل إلى المفهوم الكامل للترتيب التاريخي للإنجيل. غير أن ذلك لا يمنع أن يكون ق. متى قد أعطى مقدِّمات للأقوال تكون ذات مفهوم تاريخي. وهكذا يكون قد أعطى إنجيلاً بالعبرية يكفي أن يكون متكاملاً، الذي بمقتضاه أخذ ق. متى لقب صاحب هذا الإنجيل الذي دُعي: "الإنجيل بحسب القديس متى" بملء الصحة والالتزام!! غير أنه بترجمته إلى اللغة اليونانية يصح أن يكون العنصر التاريخي فيه قد ازداد وضوحاً، وبذلك قبلته الكنيسة حائزاً على قانونيته باعتباره التأليف الأصلي للقديس متى، ذلك بحسب وجهة نظر كل من إيرينيئوس وأوريجانوس ويوسابيوس وإبيفانيوس وجيروم والآخرين.

كذلك فالذي نفهمه من عملية الترجمة من العبرية إلى اليونانية أن الإنجيل العبري قد جاز بالضرورة عملية تنسيق تنقيحي ليدخل إلى اللسان اليوناني، ولكن لكي يدخل تحت تقديس كلمة

رسولي كان يتحتَّم أن يكون بنفس روح وفهم الأصل العبري الذي اضطلع به ق. متى الرسول، الأمر الذي جاز به أن تؤخذ منه الشواهد والنصوص لدى الآباء باعتبار أنها على ذمة ق. متى الرسول. على أن آخر **شاهد لوجود إنجيل ق. متى الأصلي باللغة العبرية هو القديس جيروم(٢٦) كما وجده في مكتبة بامفيليوس في قيصرية.**

أمَّا مترجم إنجيل القديس متى من العبرية إلى اليونانية، فبحسب الفحص العلمي الدقيق لواقع الإنجيل باللغة اليونانية، يتضح أن المترجم هو شخص واحد بمفرده بسبب الأسلوب والنمط الواحد في التعبير الذي يسري في كل أجزاء الإنجيل(٢٧). أمَّا مَنْ هو هذا الشخص الذي قام بهذه الترجمة فيقرِّر جيروم أنه ليس لديه تحقيق مقنع لأن الآراء كثيرة للغاية. فمن قائل إنه القديس متى نفسه لأنه كان يعرف اللسان اليوناني، ومن قائل بل تلاميذه، أو أحد الرسل أو ربما ق. يوحنا الرسول، أو تحت عناية عدَّة رسل، فهي تخمينات لا يؤيدها برهان.

▪ ويقول العالِم روبرتسن: [لا يوجد أي سبب حقيقي يمنع أن يكون ق. متى هو كاتب إنجيله باللغتين العبرية واليونانية.](٢٨)

▪ كذلك يقول العالِم ر. ك. هـ. لينسكي: [إن ق. متى هو مؤلف إنجيله بأكمله، وقد دعَّمه ببعض المقولات باللغة العبرية.](٢٩)

▪ ويقول العالِم س. جريدانوس: [إن ق. متى هو الذي كتب إنجيله باللغة العبرية، ولكن الذي ترجمه إلى اليونانية ربما كاتب آخر.](٣٠)

▪ أمَّا العالِم ن. ب. ستونهاوس فيعتقد أن رسولية إنجيل ق. متى راسخة في الكنيسة بكل ما في الكنيسة القديمة من تقليد.](٣١)

(26) Jerome, *De vir, illust.*, 3.

(27) Credner, *Einleit.* § 37; Holtzmann cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 11.

(28) A. T. Robertson, *Word Pictures in the New Testament,* vol I, p. XI.

(29) R. C. H. Lenski, *Interpretation of St. Matthew's Gospel,* p. 18.

(30) S. Greijdanus, cited by W. Hendriksen, *Exposition of the Gospel according to Matthew,* p. 93, n. 110.

(31) N. B. Stonehouse, *Origins of the Synoptic Gospels,* pp. 46,47.

▪ والعالِم ر. هـ. جوندري يؤكِّد أن ق. متى هو حقًّا الذي كتب الإنجيل المعروف باسمه(٣٢).

▪ كما يؤكِّد هذا العالِم أيضاً أن ق. متى كان مُلماً بعدة لغات، وهذا واضح من اقتباساته من العهد القديم سواء من السبعينية أو العبرية، لأنه يوجد امتزاج عجيب في الآيات المقتبسة من السبعينية اليونانية مع التوراة العبرية وبقايا الأرامية(٣٣).

▪ كما يؤكِّد العلاَّمة جوودسبيد ومعه العلاَّمة ج. ميليجان(٣٤) أن ق. متى كان يعرف الكتابة المختصرة short-hand وقد حقَّقا ذلك باكتشاف وثائق على البردى، إذ وجدا في إحداها حرفي: (**KS**) وهي اختصار كلمة Kyrios. ويؤكِّد العالِم تييد(٣٥) – وهو عالم البرديات الألماني – أن استعمال طريقة الاختزال هذه – خاصة في اسم الرب – هي نفس طريقة اليهود في اختزال اسم الله يهوه YHWH بهذه الحروف الأربعة تعبيراً عن اسم الله باختصار، وقد ضاع نطقها الأصلي بمرور الزمن وبقي الاختصار بالحروف الأربعة. علماً بأننا قد رجَّحنا أيضاً طريقة الكتابة المختصرة عند القديس مرقس إذ رأينا أنه كان يسجِّل مباشرة من فم المسيح.

وتقول بعض التحقيقات إن ق. متى خدم بإنجيله أول ما خدم في الجليل موطن الأقوال المستقاة، وعلَّم اليهود بمقتضاه حسب وصية الرب والمخلِّص أن يكرزوا في أُورشليم **واليهودية** والسامرة وإلى أقصى الأرض.

وقد قام العلاَّمة ماير الألماني بعملية مسح دقيق لإنجيل ق. متى فوجده مقسَّماً بحذق إلى خمسة أقسام على نمط تقسيم التوراة، كما سيأتي بالتفصيل.

(32) R. H. Gundry, *The Use of the Old Testament in St. Mattew's Gospel,* pp. 181-185.

(33) Ibid., pp. 174-178.

(34) E. J. Goodspeed, *Matthew, Apostle and Evangelist*, pp. 57-76; G. Milligan, *The New Testament Documents,* 1913: p. 241-247.

(35) Carsten Peter Thiede and M. d'Ancona, *Eyewitness to Jesus, Amazing New Manuscript Evidence about the Origin of the Gospels,* Doubleday, 1996, pp. 142 f.

٢ ـ تاريخ كتابة إنجيل القديس متى

بالنسبة لزمن تدوين القديس متى لإنجيله باللغة العبرية، فالكنيسة تحدِّد ميعاد هذا العمل كأول إنجيل بين الأناجيل القانونية. فأوريجانوس يقول ذلك عن طريق يوسابيوس (*H.E.* VI, 25) وإبيفانيوس في كتابه ضد الهراطقة (*Haer.* L 1,4). ويقول يوسابيوس إن القديس متى كتب إنجيله قبل أن يرحل عن البلاد، أي الجليل (*H. E.* III, 24). أمَّا إيرينيئوس فيقول: إن ذلك تمَّ بينما كان بطرس وبولس في روما يخدمان (*Haer.* III 1,2). ولكن بين هذين الحدثين توجد مسافة زمنية كبيرة. ولكن المعروف منطقياً أن ق. متى جمع إنجيله في زمن مبكِّر جداً عن زمن إذاعته في الكنيسة باعتباره إنجيلاً قانونياً. ثم أيضاً إن ظهور النسخة المترجمة كان بعد فترة طويلة من تجميع النسخة العبرية الأُولى. وهذا حتماً يكون قبل خراب أُورشليم بالنسبة للنسخة المترجمة، علماً بأن في سنة ٦٦ بدأت بوادر الحرب والحصار والتهديد بمهاجمة الجليل وامتلاكها.

ويحدِّد العلماء أن ما قبل حدوث رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي ـ حسب قول المسيح ـ هو أقصى ميعاد لوجود ق. متى في اليهودية، لأنه بعدها مباشرة استولى الرومان على الجليل. لذلك يؤكِّد العالِم هيلجنفيلد أن أقصى ميعاد محتمل لكتابة القديس متى لإنجيله هو بين سنة ٥٠–٦٠م[٣٦].

ولكن يعطي أيضاً العالِم ماير[٣٧] شهادة من يوسابيوس القيصري في كتاب التواريخ ***Chronicon*** أن تاريخ كتابة ق. متى لإنجيله هو سنة ٤١م. والمؤرِّخ Cosmas Indicopleustes يحدِّده بزمان رجم استفانوس. كذلك يعطي ثيئوفلاكت ومعه يوثيموس زيجابينوس ميعاد كتابة إنجيل ق. متى في السنة الثامنة لصعود المخلِّص، حيث تكون بالتقريب سنة ٤١م أيضاً، وهذا فيما يختص بالأصل العبري.

ولكنه بحسب كتاب التواريخ *Chronicon* الإسكندري وبحسب نيسيفورس كان ١٥ سنة بعد الصعود وهذا يعني سنة ٤٨م.

ويعطينا العالِم زاهن ميعاداً محدَّداً لظهور ترجمة إنجيل ق. متى من العبرية إلى اليونانية هكذا:

[إن ظهور الترجمة اليونانية لإنجيل ق. متى حدث قبل نهاية القرن الأول المسيحي، ذلك في

(36) Hilgenfeld, cited by A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 19 n.
(37) A.H.W. Meyer, *op. cit.*, p. 19.

إقليم آسيا الصغرى، ويؤكِّد الشهود أن ذلك كان قبل سنة ٩٠م.](٣٨)

وقد أفاد العالِم بنتينوس أنه قام برحلة إلى جنوب الهند، ووجد هناك سنة ١٨٠م نسخة من إنجيل ق. متى بالعبرية، وقد أذاع هذا التقليد في كنيسة الإسكندرية دون معرفتهم بقول بابياس.

وقيمة الأصل العبري لإنجيل ق. متى ذات وزن عال في تحديد زمن مبكِّر لكتابته، لأن الأقوال التي جمعها ق. متى تكون بعينها أقوال المسيح وباللغة التي علَّم بها. هذا يعني أن الأصل العبري لإنجيل ق. متى يحمل بأصالة كبيرة النص الذي قاله المسيح وعلَّم به، الذي تُرجم إلى اليونانية بعد ذلك ترجمة دقيقة ملتزمة.

ولكن تشاء نعمة الله وتدبيره الفائق المعونة، ونحن بصدد كتابة تاريخ إنجيل ق. متى، أن يظهر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٤م خبر مؤدَّاه كالآتي حرفياً:

[اكتشف مؤرِّخ ألماني متخصِّص في البرديات المصرية بجامعة أكسفورد البريطانية ورقة بردي مصرية تعود إلى القرن الأول للميلاد، وتعتبر أقدم وثيقة مسيحية في العالم. وأوضح المؤرِّخ كارستن بيتر تييد أن البردية جرى العثور عليها عام ١٩٠١ في إحدى كنائس الأقصر، لكنها لم تحظَ بالانتباه إلى أهميتها، وظلَّت في الكلية المجدلية بأكسفورد إلى أن بدأ العالِم الألماني قبل عامين التعرف عليها ودراستها. واكتشف تييد أن البردية تعود إلى عام ٦٠م مما يجعلها أقدم وثيقة مسيحية يتم اكتشافها حتى الآن، وتضم بعض أجزاء آيات من إنجيل ق. متى، وتستشهد بأشخاص عاشوا في الفترة التي عاش خلالها المسيح ـ ونشرت جريدة الديلي ميل البريطانية أمس مقتطفات من كتاب سيصدر غداً عن الموضوع الذي يؤرخ للأناجيل الأخرى وسبق كتابتها في فترة متأخرة نسبياً عن الزمن الذي عاشه المسيح. إلاَّ أن هذه الوثيقة تثبت أن إنجيل ق. متى يستمد معلوماته من أشخاص وصفهم أنهم كانوا شهود عيان للسيد المسيح. كانوا من بين تلاميذه. وتمكَّن المؤرِّخ الألماني من علاج بقايا البردية التي وجدها ممزَّقة إلى ثلاثة أجزاء صغيرة ومكتوبة باليونانية القديمة.] انتهى.

وقد وصلتنا نسخة من هذا الكتاب المذكور وبه كل قصة اكتشاف هذه الأجزاء من البردية وتحقيقها وصدق التاريخ المذكور. وإليك تصوير الغلاف الخارجي ومصوّر عليه ثلاثة أجزاء من هذه البردية المحسوبة أنها أقدم وثيقة في العالم تشهد لأصالة قدم الإنجيل، وتُحسب أنها لشاهد عَيَان

(38) Theodore Zahn, *Introduction to the New Testament,* vol. II, p. 517.

(ق. متى) قد رأى المسيح.

أمَّا تعليقنا على هذه الوثيقة النادرة فهو كالآتي: إن كانت قد كُتبت سنة ٦٠م وهي بخط ق. متى نفسه، فهي على أقل الفروض يلزم أن يكون قد مرَّ عليها ما لا يقل عن خمس وعشرين سنة حتى تصل إلى الأقصر، إذن فزمن كتابتها يتراوح بين سنة ٣٥ وسنة ٤٠م. وإن كان ق. متى قد اقتبس الكثير من إنجيل ق. مرقس، يكون إنجيل ق. مرقس قد كُتب قبل ذلك، مما يؤكِّد ما وصلنا إليه في البحث عن تاريخ كتابة إنجيل ق. مرقس وهو سنة ٤٠م، والحقيقة أنه قبل ذلك. وبهذا لم يعد لنا ثقة في شطحات العلماء المدَّعين المعرفة الذين قالوا بأن تاريخ كتابة إنجيلي ق. مرقس وق. متى هو فيما بعد السبعينيات، وكان اعتمادهم على خرافة أن الأيام الأخيرة فيها تشير إلى أنهما حضرا الحرب السبعينية وكتبا من واقع حدوثها. وهنا نرجع على هؤلاء العلماء ونؤكِّد من جهتنا أن الأخبار التي دوَّنها كل من ق. مرقس وق. متى عن الأيام الأخيرة هي نبوَّات صحيحة أمينة وليست تلفيقات حسب ظنونهم الهزيلة. لأن العلماء أخذوا هذه الأخبار على أنها مدسوسة من كل من القديس متى والقديس مرقس بعد أن شاهدا خراب الهيكل وأُورشليم. وهكذا بنوا فروضهم على أساس أن الأناجيل غير صادقة فجاءت تحقيقاتهم هي الكاذبة. ويقرِّر قاموس هاستنج أنه باستقراء ما جاء في نبوات الأيام الأخيرة يتحقَّق لدينا أن تاريخ كتابة إنجيل ق. متى لا يزيد عن سنة ٥٠م، علماً بأنه قد قُرئ مبكِّراً جداً في الكنيسة.

٣ – أنطاكية المدينة التي صدر منها إنجيل القديس متى[٣٩]

نقدِّم هنا مختصر أبحاث العلماء، وأهمهم العالِم المشهور ستريتر، الذي يقول إن العلماء قد اتفقوا ـ بناءً على شواهد كثيرة ـ أن إنجيل ق. متى كُتب أولاً في فلسطين وباللغة العبرية، كما أوضحنا وسنوضِّح أيضاً.

والمعروف أن أي إنجيل لم يكن يحظى بالاعتراف الرسمي في الكنيسة إلاَّ إذا كان مقدِّمه رسولاً أو تقدِّمه كنيسة مدينة كبرى كروما أو أنطاكية أو الإسكندرية (p. 501). وقد استقرت الأبحاث أن مدينة

(39) Burnett Hillman Streeter, *The Gospels, A Study of Origins, Treating Manuscripts, Tradition, Sources, authorship, and Dates,* Macmillan, London, 1924, reprinted 1961.

أنطاكية هي التي قدَّمت إنجيل ق. متى إلى الكنيسة عامة لما كان لها من تأثير كرازي عالٍ (p. 486). والذي رجَّح أنطاكية هي العوامل الآتية:

١ ـ استشهادات القديس إغناطيوس الشهيد أسقف أنطاكية المشهور التي تدلل أنه يعرف إنجيل ق. متى وقد اقتبس منه.

٢ ـ استشهادات الديداخي (من تعاليم الرسل) من إنجيل ق. متى، ومعروف أن الديداخي هي وثيقة سريانية الأصل لا يرقى تاريخ تدوينها إلى أكثر من سنة ١٠٠م. وكاتبها يظهر أنه يعرف إنجيل القديس متى، وحينما يستشهد به يقول كما في "الإنجيل" معتبراً أن إنجيل القديس متى هو "الإنجيل" بصورته العامة في الكنيسة (p. 486).

٣ ـ أول ظهور لإنجيل القديس متى بحسب العالِم ستريتر كان سنة ٦٦م، حينما نزح المسيحيون من أُورشليم لما رأوا جيوش الرومان تحيط بها، فذهب معهم ق. متى ومعه النواة (العبرية) من إنجيله، حيث كان إنجيل ق. متى يمثِّل المصالحة بين الجناح اليهودي المتنصِّر المتشدِّد في التمسُّك بالناموس الذي يمثِّله يعقوب الرسول، وبين الجناح المتشدِّد ضد اليهودية الذي يمثِّله بولس الرسول. وكان إنجيل ق. متى يمثِّل الفكر الوسط الدقيق المقنع، وكان يعتمد على ق. بطرس في رئاسة التلاميذ وليس على يعقوب أخي الرب، معتبراً أن ق. بطرس قد أخذ هذا الوضع الرئاسي بناءً على ما أعطاه المسيح من (الحل والربط). ويقول العالِم ستريتر إن هذه المصالحة بين الجناحين التي أنشأت هذا الاعتدال أو التوسُّط في إنجيل ق. متى استغرقت ما لا يقل عن ٢٠ سنة (p. 486-87).

٤ ـ ويقرِّر العالِم ستريتر أن إنجيل ق. متى قُبل في روما رسمياً سنة ١١٩م، بحسب التطوُّر الذي مرَّ به لتقنين قوانين الأسفار المقدَّسة في روما في مجمع خاص، واعتُبر إنجيلاً رسولياً وذلك بناءً على شهادة كنيسة أنطاكية، وكان استشهاد ق. إغناطيوس في روما في الكوليزيوم هو العامل المؤثِّر بقبول إنجيل ق. متى، لأنه يُحسب أول أسقف تبنَّى أصالة وقانونية إنجيل ق. متى، وخاصة بعد كتابة رسالته إلى روما التي احتسبتها روما رسالة شهيد بخط يده. فصار إنجيل ق. متى حجة كنسية رسولية في روما ضد التيارات المنحرفة للهراطقة. وقد قُبل بعد إنجيل ق. متى إنجيل ق. لوقا وهو أنطاكي أيضاً.

شهادة ق. إغناطيوس أسقف أنطاكية سنة ١١٥م
وأصل تسمية "الإنجيل بحسب القديس متى":

ولـو أن ق. إغنـاطيوس استشـهد بالقـديس لوقـا مـرتين وبصـورة غـير مؤكَّـدة، وكـذلك استشـهد قليلاً بالقديس يوحنا، إلاَّ أنه لم يعتمد عليهما في محاجاته. أمَّا من جهة إنجيل القديس متى، فيوجد منه في مذكَّرات ق. إغناطيوس ـ أي رسائله السبع القصيرة ـ ما يقرب من خمسة عشر استشهاداً واضحاً.

وحـتى في استشـهاده بـأقوال وردت في إنجيـل ق. لوقـا أو ق. مـرقس فـإن كلماتـه تبـدو أقـرب إلى نصوص القديس متى:

(أ) فحينمـا يتكلَّـم عـن عمـاد المسيح يقـول: [وقـد اعتمـد بواسـطة يوحنـا لكـي يكمِّـل كـل بـر] إغناطيوس سميرنا (١:١) ـ (مت ١٥:٣) حيث عبارة: «يكمِّل كل بر» لم ترد إلاَّ في إنجيل ق. متى.

(ب) [احملوا النـاس كمـا حملكـم الـرب. الـذي حمـل أسـقامنا جميعـاً] (إلى بوليكـاربوس ١:٢ـ٣) ـ (مت ١٧:٨).

(ج) وأحيانا يأتي الاقتباس بصورة تكاد تكون حرفية: [كونوا حكمـاء في كل طرقكم كالحيات وفي كل الأحوال وُدعاء كالحمامة] (إلى بوليكاربوس ٢:٢) (مت ١٦:١٠).

(د) والقـديس إغنـاطيوس هـو أول الآبـاء الـذين ذكـروا الميلاد العذري أو البتـولي، وذكـر ذلـك في عـدَّة مواقف مع التركيز الشديد على أهميته [أفسس ٢:١٨، ١:١٩، سميرنا ١:١، تراليا ١:٩].

ومعـروف أن ق. مـتى هـو الـذي أمعـن كثـيراً في بتوليـة مـيلاد ابـن الله أكثـر مـن ق. لوقـا، والقـديس إغناطيوس يعتبر أن الاعتراف والإيمـان بـالميلاد البتولي هـو الأرثوذكسية في المفهوم العقائدي واللاهوتي، فهو يحيِّي مسيحيي سميرنا على مسيحيتهم الأرثوذكسية كونهم مقتنعين تماماً كمن يمسك بالمسيح كونه من نسل داود بحسب الجسد ولكن ابن الله بحسب مقتضى الإرادة الإلهية، مولود حقًّا من عذراء وتعمَّد من يوحنا حتى يُكمِّل كل بر فيه] (سميرنا ١:١).

وواضح أن هنا ثلاثة مبادئ إيمانية إلهية مأخوذة مباشرة من إنجيل ق. متى: مجيء المسيح من نسل داود وميلاده البتولي وعماده من يوحنا «لكي يكمِّل كل برٍّ»

(هـ) كثـيراً مـا يـذكر ق. إغنـاطيوس إنجيـل ق. مـتى باعتبـاره "الإنجيـل" كاسـم كتـاب. فهـو مـثلاً يعترض على كلام بعض الهراطقة القائلين: [ما لا نجده مذكوراً في كتب العتيقة (العهد القديم بما يحوي مـن أسـفار مقدَّسـة) فإننـا لا نـؤمن بـه مـن "الإنجيـل"] (فيلادلفيـا ٢:٨). وواضـح هنـا أن "الإنجيـل"

في عرفه هو كتاب مكتوب يمكن أن يقارن بأسفار العهد القديم. على أن ق. إغناطيوس لا يذكر اسم كاتب الإنجيل. وفي نفس الرسالة يذكر جنباً إلى جنب ''الإنجيل'' و''الرسل'' و''الأنبياء'' على اعتبار أنها أسماء أسفار مقدَّسة (فيلادلفيا ٥:١و٢). وتمشياً مع التقليد القديم لا يذكر اسم كاتب السفر، فهذا كان معمولاً به بالنسبة لأسفار العهد القديم. فكل كتاب من أسفار موسى الخمسة يُسمَّى بأول كلمة فيه ولا يُعطى له اسم كاتبه حسب عادة اليهود.

(و) وحينما ظهر إنجيل ق. مرقس كأول إنجيل عُرف في الكنيسة، دُعي بأول كلمة فيه التي هي ''الإنجيل''. ولكن لما ظهر إنجيل ق. متى دُعي أيضاً ''بالإنجيل'' لأن كلاً منهما يحمل سيرة حياة المسيح وأعماله. ولكن لكي يفرِّق الشعب بين الذي للقديس مرقس وبين الذي للقديس متى قيل في التقليد الكنسي طقسياً ''الإنجيل بحسب ق. مرقس'' و''الإنجيل بحسب ق. متى''، للحفاظ على وحدة الاسم ''الإنجيل'' لما يحويه من حقيقة واحدة (p. 559).

(ز) وعلى أساس ما جاء في (و) يتضح أن ق. إغناطيوس برجوعه إلى ''الإنجيل'' باعتباره الإنجيل دون ذكر بحسب ق. مرقس أو بحسب ق. متى يكون معناه أن إنجيل ق. متى هو وحده الذي كان مستعملاً في زمان ق. إغناطيوس في كنيسة أنطاكية. وهذا حدث أيضاً بنفس الصورة في حياة ق. جيروم بالنسبة للمتكلمين بالأرامية من المسيحيين، إذ كانوا يطلقون كلمة ''الإنجيل'' دون تحديد آخر على إنجيل ق. متى المعروف عند العلماء باللوجيا *logia* أي الأقوال (p. 507).

الديداخي أيضاً تثبت أن إنجيل ق. متى موطنه أنطاكية (الديداخي ٨٠ـ١٠٠م):

بدراسة الديداخي وُجد أن كاتبها له معرفة بإنجيل ق. متى، ومثله مثل ق. إغناطيوس فهو يرجع إلى ق. متى باعتباره ''الإنجيل''، كما يحوي نصوصاً تعتبر من المخطوطات الشفاهية غير المكتوبة عن المسيح.

كذلك يبدو أن ق. إغناطيوس له دراية بالديداخي بحسب العلاَّمة ترنر(٤٠) (p. 507).

أمَّا الإشارات الواضحة لإنجيل ق. متى فهي كالآتي:

(أ) **ديداخي (٩:٥)**: [لا تعطوا القدس للكلاب]، تساوي حرفياً (مت ٦:٧) ولو أنها غائبة في النص المقابل من ''المراسيم الرسولية'' (***Apostolic Constitutions***).

(ب) **ديداخي (٧)**: أمر المسيح بالتعميد [باسم الآب والابن والروح القدس]، ولا يوجد إلاَّ في إنجيل ق. متى (١٩:٢٨). وهذه تعتبر نقطة محورية تربط الاثنين معاً.

(40) C.H. Turner, *Studies in Early Christian History*, Oxford, 1912, p. 8 n.

(ج) **ديـداخي (١:٨)**: [ولا تجعلـوا صـومكم مـع المـرائين فهـم يصـومون الاثنـين والخمـيس مـن الأسبوع، ولكـن احفظـوا أنـتم الصـوم في الأربعـاء والجمعـة (براسكيفي الاستعداد للسبت). كذلك لا تصلُّوا كالمرائين ولكن صلُّوا أنتم كما علَّمكم الرب في إنجيله: فصلُّوا هكذا: «أبانا الـذي ...»] وذكـرت الصـلاة الربانيـة بحرفيتهـا كمـا جـاءت في إنجيـل ق. متى. والعلاقـة بـين الديداخي والإنجيل في (مت ٦: ٥–١٦) واضحة.

(د) **ديـداخي (١١:٣و٤)**: [وأمَّـا فيمـا يختص بالرسـل والأنبيـاء فـاعملوا أنـتم بحسـب وصـايا **الإنجيل**، كل رسول حينما يأتيكم فاقبلوه كالرب]. في هذه الوصية الخاصة بالرسول الكارز سائراً على رجليه نجد الإشارة واضحة إلى إنجيل ق. متى، فهي ترجمة للقول: «مَنْ يقبلكم يقبلني ومَنْ يقبلني يقبل الذي أرسلني.» (مت ١٠:٤٠)

(هـ) **ديداخي (١١:٧)**: [وكل نبي يتكلَّم بـالروح فلا تفحصـوه ولا تـدينوه، لأن كل خطيـة تُغفر ولكن هذه الخطية لا تُغفر]، وتأتي في (مت ١٢:٣١): «وأمَّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس»

(و) **ديداخي (١٣:١)**: [كل نبي صادق يطلب أن يقيم عندكم فهو مستحق طعامه. كذلك المعلِّم فهو مستحق أيضاً كالفاعل المستحق أجرته]، وهي قريبة من (مت ١٠:١٠): «لأن الفاعل مستحق طعامه»

(ز) **ديداخي (١٤:٢)**: [إذا كان أحدكم متشاجراً مع آخر فلا يجتمعا مع الجماعة حتى يتصالحا معاً حتى لا تتنجَّس ذبيحتكم]، والعلاقة واضحة مع إنجيل ق. متى (٥:٢٤): «فاترك هناك قربانك قدَّام المذبح» وهكذا تحوَّل الديداخي ما جاء عند ق. متى من الذبائح اليهودية إلى الإفخارستيا المقدَّسة. فهنا شرح وتطبيق.

(ح) **ديـداخي (١٥:٣)**: [ليعاتـب أحـدكم الآخـر ولكـن لـيس بغضـب بـل بسـلام كمـا هـو في الإنجيل]، وهي موازية لإنجيل ق. متى (١٨:١٥): «وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما» ثم تقول الديداخي أيضاً: [وكل صلواتكم وعطاياكم وكل أعمـالكم اعملوهـا كمـا هـو في إنجيـل الـرب] (مـت ٦: ٢–١٥). وهكـذا يجمـع كـل تعاليمـه ووصـاياه ليضـعها بمـوازاة الإنجيـل للقـديس متى، وكأنـه يقـول هـذه مقدِّمـة عمليـة للإنجيـل. ولكـن لكـي تحصل على التعليم كله فعليك أن ترجع "للإنجيل" وخاصة العظة على الجبل.

(ط) **ديـداخي (١٦)**: حيـث ينتهـي كتـاب الديـداخي بتعـاليم عـن الأخرويـات "أبوكاليبسـيس"

وكلها مأخوذة من إنجيل ق. متى، فقد ورد فيها:

- [اسهروا على حياتكم، ولا تدعوا مصابيحكم تنطفئ] = (مت ٢٥:٨).
- [لا تتركوا أحزمتكم تتراخى حول أحقائكم] = (لو ١٢:٣٥)، والأصح Q = متى في صياغته الأُولى الأرامية.
- [ولكن كونوا مستعدين لأنكم لا تعرفون الساعة التي يأتي فيها ربنا] = (مت ٢٤:٤٢و٤٤ – ٢٥:١٣).
- [واجتمعوا مراراً وابحثوا في أمور نفوسكم وما يهمّها لأن العبرة أن تكونوا كاملين في اللحظة الأخيرة، لا في طول مدة إيمانكم. لأن في الأيام الأخيرة يقوم الأنبياء الكذبة والمفسدون يتكاثرون، والغنمة تتحوَّل إلى ذئب والمحبة تنقلب إلى عداوة] = (مت ٢٤:١١ وما بعده و٢٤)
- [وبينما الإثم يزداد سيبغضون الواحد الآخر] = (مت ٢٤: ١٠و١٢)
- [ويضطهد ويسلِّم الأخ أخاه وحينئذ يظهر المخادع للعالم وكأنه ابن الله ويعمل عجائب ومعجزات] = (مت ٢٤:١٠و٢٤).
- [وتُسلَّم الأرض ليديه ويعمل أعمالاً نجسة لم تكن سابقاً قط] = (مت ٢٤:٢١).
- [وحينئذ تدخل كل الخليقة البشرية في محنة النار للاختبار، وكثيرون يعثرون ويهلكون ولكن الذين يصبرون في إيمانهم سيخلصون] = (مت ٢٤:١٣)
- [وحينئذ تظهر علامات الحق (مت ٢٤:٣٠)، أولاً علامة السماء المفتوحة، ثم علامة صوت البوق (مت ٢٤:٣١)، والعلامة الثالثة قيامة الموتى، لا جميع الموتى ولكن القديسين منهم كما قيل سيأتي الرب وجميع القديسين معه (زك ١٤:٥)، عندئذ يرى العالم الرب آتياً على سحاب السماء (مت ٢٤:٣٠، ٢٦:٦٤)].

ومعظم هذه النبوات اختص بها إنجيل ق. متى وحده مما يشير أن الديداخي تعكس صورة لإنجيل القديس متى بدائية للغاية.

وهكذا نرى أن كلاً من ق. إغناطيوس الشهيد ووثيقة الديداخي ـ وهما أقدم وثيقتين تحتفظ بهما الكنيسة وهما سوريتا الأصل ـ يتكلَّم كلاهما عن إنجيل ق. متى باعتباره "**الإنجيل**" الذي له السلطان، فهما يشتركان معاً في **تقديم** البرهان على أن إنجيل ق. متى كان هو إنجيل كنيسة أنطاكية.